خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ٢٠١٤/١٠/٢٤

في مسجد بيت الفتوح بلندن

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

قبل يومين كنت أقرأ العدد الأخير من جريدة "الفضل" العالمية، حيث نُشر فيه جزءٌ من خطاب سيدنا المصلح الموعود رضي الله عنه الذي ألقاه في عام ١٩٣٧م ووجّه فيه الأنظار إلى أن كثيرا من أصحاب المسيح الموعود عليه السلام ما زالوا موجودين ويجب أن تُجمع منهم ذكرياتهم عن المسيح الموعود والأحداث المتعلقة به عليه السلام لأنه سيأتي زمان حين تكون لهذه الأشياء أهمية كبيرة لحل مسائل كثيرة. لقد ضرب المصلح الموعود رضي الله عنه في ذلك مثالا وقال بأن صحابيا شابا أخبره أنه أمسك بيد المسيح الموعود عليه السلام ذات يوم في أيام طفولته وبقي واقفا بجنبه ممسكا بيده لبعض الوقت. ثم سحبها المسيح الموعود بعد برهة واشتغل في عمل. يقول المصلح الموعود رضي الله عنه بأن هذا حادث بسيط ظاهريا إذ يقول الراوي أنه لا يتذكر إلا هذا القدر فقط. ولكن تُستنبَط من ذلك نتائج كثيرة، فمثلا يتبين من هذا الحادث البسيط أنه يجب على الأطفال الصغار أيضا أن يحضروا مجالس الصلحاء، وأن طفلا كان ممسكًا بيد المسيح الموعود ولكنه عندما شعر بضرورة الاشتغال في عمل ما سحب يده بلطف وتودّد. فيقول المصلح الموعود أن هذه الأمور تكون جوابا على بعض المسائل التي تطل برأسها بين الفينة والفينة. فكل ما تذكّره الصحابة من الأحداث بيّنوها مهما كانت بسيطة ولكنها تحمل في طياتها دروسا

وعبرا، فنرى في الحادث المذكور للتو أن طفلا أمسك بيد المسيح الموعود وبقي ممسكا بها إلى برهة من الزمن، ولم يسحبها حضرته من يد الطفل، ولكن إذا شعر بضرورة الاشتغال في عمل سحبها بلطف مظهرا شفقة حتى لا يترك ذلك تأثيرا سلبيا على الطفل.

لقد سبق لي أن ذكرت بعض الروايات التي رواها صحابة المسيح الموعود عليه السلام ولكن المصلح الموعود رضي الله عنه رواها بأسلوبه الخاص كما رآها حادثة أمامه. لقد ذكرها حضرته في خطبه وخطاباته المختلفة وهي منشورة وتحتوي على دروس ونصائح، وتتبين من خلالها جوانب مختلفة لسيرة المسيح الموعود عليه السلام أيضا، وتلعب دورا هاما في إصلاح جوانب حياتنا المختلفة.

أما في هذه الأيام فيجمعها السيد حبيب الرحمن- وهو واقف حياته- من مصادرها؟ المختلفة. ولا شك في أن سعيه هذا جدير بالإشادة والتقدير، وقد جمع أيضا بعض الأحداث. ولكن يجب أن يكون معلوما أن بعض الأمور لا تتضح بغير ذكر سياقها لذا لا بد من وضع استراتيجية معينة وأسلوب خاص لهذا الغرض. على أية حال، عندما تُنشر هذه المادة بحسب ترتيب خاص، آمل أنها ستكون إضافة مفيدة إلى أدبيات الجماعة.

لقد اقتبستُ اليوم بعض الأحداث لأذكرها أمامكم وهي أحداث جرت مع المصلح الموعود رضي الله عنه، أو ما ذكره بأسلوبه الخاص من بعض أحداث الآخرين. وهي، كما قلتُ، تتضمن نصائح وتوضح بعض الأمور الأخرى. والأحداث التي سأذكرها اليوم لا تتعلق بموضوع معين بل هي متنوعة، وسأذكرها مستقبلا بإذن الله بحسب مقتضى الأمر والمناسبة وفي خطب الجمعة، لأن خطبة الجمعة تُسمع وتشاهد على قناتنا الفضائية ايم تي أيه في بيوت الأحمديين أكثر من أيّ برنامج آخر. وكما قلتُ قبل قليل أن هذه الأمور تلعب دورها في حلّ المسائل، لذا يجب أن تصل إلى كل أحمدي صغيرا كان أم كبيرا، وخطبة الجمعة أفضل وسيلة لإيصالها.

يقول المصلح الموعود رضي الله عنه: لقد حدث ذات مرة أن كلبا جاء إلى بابنا، كنت واقفا قريبا من الباب ولم يكن داخل الغرفة إلا المسيح الموعود عليه السلام وحده. أشرتُ إلى الكلب وناديتُه قائلا: "تيبو، تيبو". فخرج المسيح الموعود عليه السلام من البيت غاضبا غضبا شديدا، وقال: ألا تستحيي من هذا القول؟ لقد أطلق الإنجليز اسم المسلم الصادق "تيبو" على كلابهم بسبب العداوة، وأنت تُطلق على الكلب هذا الاسم تقليدا لهم؟ حذار أن تفعل ذلك مرة أخرى. يقول المصلح الموعود رضي الله عنه كان عمري حينذاك يناهز الثمانية أعوام أو التسعة، وقد كان ذلك اليوم الأول الذي انغرز فيه حب "السلطان تيبو" في

قلبي وفهمتُ أن تضحياته لم تذهب سدى، بل بارك الله في اسمه لدرجة أنّ المبعوث الرباني يحترمه ويغار له.

ثم يقول المصلح الموعود ﷺ: يُستنبَط من هذا الحادث أنه ليس حِلمًا أو شفقة السكوت أو عدم الانتباه إلى كل ما يقوله الطفل أو يفعله. هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية تتبين من ذلك حَمِيّة المسيح الموعود عليه السلام وغيرته الدينية العظيمة للأمة. هذا هو الطفل نفسه الذي حرق ذات مرة في لمح البصر مسوداته عليه السلام التي كتبها بجهد جهيد وببذل ساعات طويلة بل ليالٍ عديدة ولكن المسيح الموعود عليه السلام تحمّل منه هذا الفعل دون أن يفكر في المعاناة التي سيتكبّدها في إعادته تأليف تلك المسودات. (*يشير المصلح الموعود هنا إلى حادث حرقِ مُسَوَّدةٍ كاملةٍ لكتاب كان المسيح الموعود عليه السلام يؤلفه، وذلك حين كان المصلح الموعود طفلا يلعب مع الأطفال، ولكن المسيح الموعود لم يقل له شيئا ولم يؤنبه*)

فقد تحمل المسيح الموعود خسارة حرق المسودة التي ألّفها ببذل جهد كبير ولكن لم يتحمّل الإساءة إلى قائد من الأمة مهما كانت بسيطة.

يتابع المصلح الموعود ﷺ ويقول: لم يتحمل المسيح الموعود أن يذكر طفل صغير هذا الاسم ولو بسبب قلة علمه ويسيء بهذه الطريقة إلى سلطان مسلم استُشهد نتيجة غِيرة للأمة، علما أنه لم تكن للمسيح الموعود عليه السلام أي صلة به سوى صلة الإسلام فقط. وفي ذلك ردٌّ أيضا على الذين يتجاسرون على اتهام المسيح الموعود بأنه عميل للإنجليز. كيف يمكن أن يُتصوّر أن يكون عميلا للإنجليز ذلك الشخص الذي كان قلبه زاخرا بالغيرة للأمة وكان يحترم السلطان "فتح علي تيبو" لأنه لم يخضع للإنجليز بل ضحّى بحياته كالأبطال؟

ثم يقول المصلح الموعود ﷺ: ما من آباء أكثر عداوة لأولادهم، بحسب رأيي، من الذين لا يعوّدون أولادهم على الصلاة جماعةً. أتذكر حادثا يتعلق بي، وبيانه أن المسيح الموعود عليه السلام كان ذات مرة معتلّ الصحة فلم يستطع الذهاب إلى المسجد لصلاة الجمعة. أما أنا فما كنتُ بالغا سن الرشد حتى تنطبق عليّ أحكام البلوغ، إذ كنت طفلا صغيرا. كنتُ ذاهبا إلى المسجد لصلاة الجمعة ووجدتُ في الطريق شخصا- ما كان لي أن أتذكر صورته بسبب صغر سنّي ولكن تأثير ذلك الحادث ما زال باقيا عليّ إلى اليوم، وبسبب هذا التأثير العميق أتذكر ملامح هذا الشخص- كان اسمه محمد بخش ويسكن في قاديان. سألتُه: أنت عائد من المسجد، فهل انتهت الصلاة؟ قال: المسجد مكتظ بالناس ولا يوجد فيه مكان للصلاة فعُدتُ. فعُدتُ أنا أيضا بسماع هذا الجواب

وصليت في البيت. عندما رآني المسيح الموعود عليه السلام سألني: لماذا لم تذهب للصلاة في المسجد؟ إنه لمن فضل الله عليّ أنني أحترم المسيح الموعود عليه السلام منذ صغري لكونه نبيا. وقد شعرتُ أن هناك بعض القسوة في استجوابه إذ كان الغضب باديا على وجهه، فاستجوابه بهذه الطريقة أثّر عليّ بشدة. قلتُ في الجواب: لقد ذهبتُ ولكن عدتُ لعدم وجود المكان في المسجد. فسكت عليه السلام على ذلك. وبعد صلاة الجمعة جاء المولوي عبد الكريم لعيادته، فاستفسر منه المسيح الموعود أولا وقبل كل شيء: هل جاء الناس إلى المسجد بكثرة اليوم؟ قلقتُ بشدة على أنني لم أذهب إلى المسجد بنفسي، ولا أدري هل الشخص الذي قال لي ذلك أخطأ في التقدير أم أخطأتُ أنا في فهم كلامه أنه لا يوجد مكان في المسجد، فخطر ببالي بأني سأُتَّهَم أنا بالكذب سواء أكان ذلك خطأً مَن أخبرني بالموضوع أم إساءةَ فهمي. أجاب المولوي عبد الكريم: نعم يا سيدي، لقد جاء الناس اليوم بكثرة. ولم أعرف إلى اليوم إن كان المسجد مكتظا بالناس فعلا أم لا، ولكن الله برّأ ساحتي إذ صدّقني بلسان المولوي عبد الكريم أن الناس جاءوا في ذلك اليوم بكثرة غير عادية. على أية حال، إن تأثير هذا الحدث العميقَ ما زال يؤثر بي. ومن هنا يمكن أن نقدّر كم كان المسيح الموعود عليه السلام مهتمًّا بالصلاة جماعة.

ثم ذكر المصلح الموعود حادثا بسيطا آخر من أيام طفولته ويتعلق بتعليمه، فقال: إن أكبر منة علي في تعليمي هي لسيدنا الخليفة الأول رضي الله عنه. كان رضي الله عنه طبيبا فكان يعلم أن صحتي لا تسمح بأن أركّز على الكتاب لفترة طويلة، لذا كان من عادته أن يُجلسني بجنبه ويقول: سأقرأ أنا وعليك أن تسمع فقط. وكان سبب ذلك أن عينيّ كانتا مصابتين بمرض شديد وكانتا تؤلماني كثيرا لدرجة قال الأطباء نظرا إلى شدة المرض أنه يمكن أن أفقد بصري. وعلى ذلك بدأ المسيح الموعود عليه السلام بالدعاء لصحتي بتركيز خاص وبدأ بالصيام أيضا لهذا الغرض. لا أذكر كم يوما صام حضرته ولكن أظن أنه صام ثلاثة أيام أو سبعة. وعندما أفطر عليه السلام، فما لبث أن وضع شيئا في فمه في إفطار يومه الأخير إلا وفتحتُ عينيّ فورا وقلتُ: أستطيع أن أنظر الآن. ولكن كانت نتيجة شدة المرض وهجماته المتتالية أن ضعف بصري في إحدى عيني، فلا أبصر بعيني اليسرى؛ أستطيع أن أرى الطريق ولكن لا أستطيع أن أقرأ الكتاب. إذا كان أحد من معارفي جالسا على بُعد بضع أقدام مني أستطيع أن أعرفه ولكن إذا كان الجالس من غير معارفي فأستطيع أن أراه ولكن لا أعرفه. فعيني اليمنى وحدها تعمل ولكنها أيضا أصيبت بمرض شديد حتى كنتُ أقضي عدة ليالٍ ساهرا. فقال المسيح الموعود لأساتذتي عن دراستي: فلتكن دراسته بحسب رغبته هو.

أقول: انتبهوا إلى أن هذا يحقق جانبا من النبوءة عن المصلح الموعود ﷺ، كيف ملأه الله تعالى بالعلوم الظاهرية والباطنية على الرغم من مرضه، كما قال في النبوءة عنه، إذ يقول حضرته ﷺ أنه قرأ آلاف الكتب.

على كل حال قال سيدنا المسيح الموعود عليه السلام فليدرس قدر ما يريد وإن لم يدرس فلا تضغطوا عليه، لأن صحته لا تسمح له بتحمل عبء الدراسة. إن توجيه سيدنا المسيح الموعود عليه السلام المتكرر لي في الدراسة ينحصر في أن أتعلم ترجمة معاني القرآن الكريم والبخاري من حضرة المولوي أي الخليفة الأول، بالإضافة إلى ذلك قال لي ادرس قليلا من الطب أيضا فهو ميزة عائلية. يقول حضرته إن الأستاذ فقير الله المحترم الذي وفَّقه الله هذا العام بالذات للانضمام إلينا، -إذ كان قد انشق من قبل وانضم إلى غير المبايعين لفترة معينة- كان يدرِّسنا الحساب. وكان يحل الأسئلة على اللوح ليشرحها للطلاب، لكنني لم أكن أستطيع أن أقرأها لضعف بصري، لكونها بعيدة عني ولم أكن أقدر على رؤيتها من هذه المسافة. كما لم أكن أستطيع أن أنظر إلى اللوح طويلا إذ كانت عيناي تتعبان بسرعة، ومن ثم كنت أعدّ الجلوس في الصف عديم الجدوى. وكنت أذهب إلى المدرسة إذا أردت، ولم أكن أذهب عادةً. ذات يوم اشتكاني الأستاذ فقير الله عند حضرته عليه السلام قائلا: إنه لا يدرس شيئا، وأحيانا يأتي إلى المدرسة وأحيانا يغيب عنها. أتذكر أن الأستاذ حين اشتكاني تواريت خوفا، من أن يعاتبني حضرته عليه السلام لكنه حين سمع الشكوى قال للأستاذ: من لطفك أنك تعتني بالولد، وتهتم به، وقد فرحت حين سمعت منك أنه أحيانا يذهب إلى المدرسة، وإلا فصِحَّتُه لا تسمح له في رأيي بحضور المدرسة. ثم قال مبتسما: لن أفتح له بقّالةً حتى أهتم بإتقانه الحساب، فلا بأس عليه سواء تعلَّم الحساب أم لا. فمتى كان النبي ﷺ يتعلم الحساب أو صحابتُه؟ إذا ذهب إلى المدرسة فحسنا وإن لم يذهب فلا ينبغي إكراهه على ذلك. (*هنا أود أن أخبركم عن إتقانه الحساب أنه أثناء الخطاب كان يضرب ويقسم بمئات الألوف ويعطي النتيجة*). على كل حال يقول حضرته إن الأستاذ عاد من عنده بعد تلقي هذا الجواب. أما أنا فاستغللت الموقف الليِّن وتركت المدرسة نهائيا، حيث كنت أذهب مرةً كل أشهر. باختصار في هذه الظروف تمت دراستي، وكنت في الحقيقة مضطرا أيضا، لأني كنت أعاني في الطفولة من مرض الكبد أيضا وكنت أتناول لستة أشهر منقوع مجروش الفول ومنقوع أوراق الخردل، (*فهذا العلاج أيضا جيد لعلاج أمراض الكبد*)، كما ازداد حجم الطحال وظللت أعالجه لمدة، ثم كنت أعاني الألم في العيون أيضا، وكانت تصيبني الحمى أيضا وتستمر لستة أشهر.

يقول حضرته: كل إنسان يمكن أن يقدِّر كفاءتي الدراسية في ضوء ما قال عني حضرته: أي، فليدرس ما يريد ولا يُفرَض عليه أكثر من ذلك. ذات يوم امتحنني جدّي حضرة مير ناصر نواب في اللغة الأردية، (فأملى علي شيئا) فأنا ما زلت سيئ الخط، أما في ذلك الزمن فكان خطي سيئا جدا لدرجة لا يكاد يُقرأ. فحاول كثيرا ولم يعرف ما كتبتُه. كان حادَّ الطبع وسريع الغضب، فجاء فورا إلى سيدنا المسيح الموعود عليه السلام وكنت أيضا بالمصادفة في البيت، وكنت أخافه سلفا من طبعه الحاد، فرفع الشكوى إلى حضرته فخشيت جدا. باختصار قال مير المحترم لحضرته: ليس لك أي اهتمام بدراسة محمود، فقد امتحنته في اللغة الأردية، فانظر إلى الورق قليلا، فخطُّه سيئ جدا لدرجة لا يقدر أحد على قراءته. ثم قال لحضرته عليه السلام بالثورة نفسها: أنت لا تعيره أي اهتمام وعمْرُ الشاب يضيع.

فحين رأى المسيح الموعود عليه السلام مير المحترم ثائرا على هذا النحو، قال له نادِ حضرة المولوي المحترم، (*إذ كان من دأبه أنه عندما كان يواجه أي موقف صعب كان يدعو دوما حضرة الخليفة الأول رضي الله عنه*)، وكان حضرته يحبني كثيرا، فجاء ووقف مطأطئ الرأس إلى ناحية كعادته، (*فلم يكن ينظر إلى حضرة المسيح الموعود عليه السلام رافعا رأسه*)، فقال له حضرته عليه السلام: حضرةَ المولوي، لقد دعوتُك لأن مير المحترم يقول إن خط محمود غير مقروء، أود أن نمتحنه. وبذلك أَمسَك قلما وكتب سطرين أو ثلاثة أسطر وطلب مني أن أنسخها، فهذا هو الامتحان الذي أخذه مني. فنسختها بتأن واهتمام وحذر، فلم تكن العبارة أولا طويلة وثانيا كان المطلوب مني النسخ، والنسخ أسهل لأن الذي أنسخه كان أمامي. فنسخت بحذر وبطء، وكتبت الألف والباء بحذر، فلما رآه المسيح الموعود عليه السلام قال: كنت قد قلقت كثيرا من كلام مير المحترم، بينما خطه يشبه خطي، وكان الخليفة الأول سلفا يريد أن يؤيدني، فقال لحضرته عليه السلام، لقد ثار مير المحترم عبثا، وإلا خطه جيد. بعد وفاة المسيح الموعود عليه السلام قال لي الخليفة الأول: ميانْ، تعلَّم مني البخاري كله. في الحقيقة قد أخبرتكم أن المسيح الموعود عليه السلام كان يقول لي أن أتعلم القرآن الكريم والبخاري من المولوي المحترم، فكنت بدأت أتعلم منه القرآن الكريم والبخاري في حياة المسيح الموعود عليه السلام وإن كنت أغيب عن الدرس أحيانا. كما كنت بدأت دراسة الطب منه استجابة لأمر المسيح الموعود عليه السلام.

ثم عندما بدأ إصدار مجلة "تشحيذ الأذهان" كتب ماذا كان يريد منه الخليفة الأول: قبل مدة حين أسست مجلة تشحيذ الأذهان بالتعاون مع عدد من الأصدقاء، وحين نُشر المقال الذي كتبتُه لتعريفها، وبينت فيه أهدافها وغاياتها مدَحه حضرته عند المسيح الموعود عليه السلام مدحا خاصا وقال له:

المقال جدير بأن تقرأه حتما. فطلب حضرته المجلة في المسجد المبارك وطلب من المولوي محمد علي غالبا أن يقرأ عليه فسمع وأثنى عليه. لكنني حين قابلتُ الخليفة الأول لاحقا قال لي: ميان إن مقالك جيد جدا إلا أنني لم أعجب به. ثم قال: في بلدنا مثل مشهور "الجمل بأربعين وابنه بـ ٤٢"، وأنت لم تطبِّق هذا المثل. لم أكن أعرف البنجابية كثيرا حتى أفهمه. فلما رأى حضرته الاستغراب على وجهي قال: لعلك لم تفهم المعنى، فهو مثل في بلادنا، ومعناه أن شخصا كان يبيع جملا ومعه ابن الجمل أيضا، فلما سأله أحد عن السعر قال الجمل بـ ٤٠ أما الابن فبـ ٤٢. فلما استفسره عن سبب الفرق قال: هذا مجرد جمل، أما هذا فجملٌ وابن جمل. ثم قال: كان أمامك مؤلَّف المسيح الموعود عليه السلام البراهين الأحمدية، فحين كان حضرته ألَّفه لم يكن عنده كتب إسلامية من هذا النوع بينما كان عندك هذا الكتاب موجودا، وكان من المأمول أن تُصدر أفضل منه. يقول سيدنا المصلح الموعود رضي الله عنه: مستحيل أن يُصدر أحدٌ أفضل من المبعوثين من الله، وإنما يمكن للآخرين أن يستخرجوا كنوزهم الخفية. فكان الخليفة الأول رضي الله عنه يقصد أن مهمة الأجيال القادمة تنحصر في أن يرفعوا البناء على أسس سابقة. وهذا الأمر إذا وضعته الأجيال القادمة في الحسبان فتستطيع أن تنال البركات والأفضال لنفسها ويهيِّئوها للأمة أيضا. إلا أن سعي استباق الآباء يجب أن يكون في الحسنات، إذ لا يصح أن يكون ابن السارق سارقا أكبر منه، بل على ابن المصلي مثلا أن يحافظ على الصلوات أكثر من والده.

يقول حضرته عن تعظيم القرآن الكريم: أنا أتذكر تصرُّفا لي ناجما عن جهل في الطفولة، فحين كنت طفلا صغيرا، كان الأعداء يأتون إلى مجلس المسيح الموعود عليه السلام ويعترضون عليه، فلما كان حضرته يتكلم ببساطة كان يخطر ببالي أحيانا كثيرة أن حضرته قد لا يتمكن من مواجهة دهاء السائل، لكن عندما كان العدو يتمادى في العداء كان يبدو وكأن قوة سماوية سيطرت عليه عليه السلام، وكان يرد عليه لدرجة أنّ الهدوء التام يسود المجلس. وبعض الناس اليوم ليسوا بأقل غباء من هؤلاء المعترضين، حيث إذا اعترض أحد على القرآن الكريم قالوا له: اسكت، وإلا سيضيع إيمانك. فعادة عندما يتكلم الناس مع المشايخ ويستفسرونهم عن مسألة أو اعتراض يكون هذا موقفهم. يقول كثير من المبايعين الجدد إنهم حين ذهبوا إلى شيخ وقالوا إنهم لم يفهموا مسألة فلانية قالوا له أنت لا تقدر على استيعابها فالزم الصمت وإلا سيضيع إيمانك. مع أن هذا الأمر سخف، إذ كان من المفروض أن يفندوا الاعتراضات على القرآن الكريم برد مقنع يقبله العدو أيضا ويقر بصدقهم، لكنهم يَمنعون من الاعتراض ويُبقون الشبهات في قلب السائل. أنا أتذكر جيدا قولا للمسيح الموعود عليه السلام ولقد سمعت

مرارا هذا الكلام بأذني، فكان يقول: لو كان الناس في العالم كله مثل أبي بكر لما كانت هناك حاجة لهذا القرآن الكريم الكبير. بل كانت باء "بسم الله" كافية، وإنما نزل هذا القرآن الكريم المليء بالمعارف بسبب أبي جهل فقط.

لو لم يكن أناس كأبي جهل لما كانت هناك حاجة إلى قرآن كريم مفصّل. باختصار، القرآنُ كلامُ الله، وكلما اعتُرض عليه ظهرتْ له ميزات عظيمة. فمن الوساوس الشيطانية الظنُّ أنه إذا كان اعتراضًا قويًّا فلا يسعنا الرد عليه. هل ينبغي لكلام الله أن يحفظ إيماننا أم ينبغي لنا أن نحفظ كلام الله؟ باطلٌ ذلك الكلام الذي يحتاج إلى إنسان ليحفظه، وهو جدير بتركه، ولا يجدينا نفعًا. بل القرآن المفيد لنا هو ذلك الذي لا يحتاج إلى إنسان لحفظه بل الله حافظه، وينبغي أن يردّ بنفسه على كل ما يُعترض عليه، ويُظهر عظمته بنفسه. وقرآننا الكريم يتحلى بهذه الميزات.

كيف ينبغي أن تكون المحاسبة على ضعف النفس؟ أي ينبغي أن يكون للإنسان تحكم في نفسه، يقول حضرته عن ذلك: هناك حدث من حياة المسيح الموعود عليه السلام وقد حصل في أحد أزقّة لاهور حيث دفع أحدٌ حضرتَه، فسقط، مما أثار حفيظة أصحابه فثاروا وكادوا أن يضربوه ولكنه عليه السلام قال: لا تؤذوه شيئا لأنه حسب ظنّه قد فعل ذلك دعمًا للصدق والحق. فلا يتكلم الأنبياء بما تسألهم أنفسهم بل يتكلمون من أجل إقامة عظمة الله تعالى، فينبغي ألا يخطر بالبال بأن أنبياء الله أيضا يتصرفون كتصرف عامة الناس، كلا، بل هناك فرق شاسع بينهم وبين عامة الناس، إذ إن الأنبياء يعملون لله والعامة لأنفسهم.

ثم يقول حضرته: كان المسيح الموعود عليه السلام يذكر واقعة معاوية رضي الله عنه أنه قد فاتته صلاة الفجر مرةً، ولكنه لم يسقط بسبب هذا الخطأ بل ارتفع وترقّى، والسبب في ذلك أن كل من شعرَ بالذنب تجنَّبَه. وإذا تلاشى الشعور بالذنب انغمس الإنسان في المعاصي. فعلى المؤمن أن يتدبر في قوله تعالى: (اهدنا الصراط المستقيم) وينبغي أن يشعر بأنه ليس في مأمن من الأخطار، ولا يكون مصونًا منها إلا إذا أكد له ذلك صوتُ الله. فينبغي أن يحاسب الإنسان ضَعفَ نفسه، ومن فعل ذلك فُتحتْ له أبواب الروحانية، ومن لم يفعل ذلك سُدّت، وبالتالي غدا ضالا.

إن معارضة جماعةٍ ومعارضة نبيٍّ تحقق الرقي والازدهار. يذكر المسيح الموعود عليه السلام حدثًا سمعناه كثيرا، كان حضرته يقول: إذا شتمنا الأعداء وعارضونا برقَ لنا الأمل أن الأرواح السعيدة منهم سوف تنجذب إلينا، ولكن إن لم يعارضوننا ولم يشتموننا بل التزموا الصمت المطبق فإن هذا الوضع يدعو إلى القلق. كان المسيح الموعود عليه السلام يقول: إن مثل نبيٍّ كمثل امرأة عجوز معروفة بإصابتها

بمس الجنون، كان أطفال البلدة يثيرونها فكانت تشتمهم وتدعو عليهم. وفي النهاية اتفق آباء الأطفال على أن يمنعوهم من إزعاجها، فأرادوا إفهام الأطفال، إلا أنهم كانوا أطفالا فلم يمتنعوا. وعندما فشلت خطة الآباء قرروا منع الأطفال من الخروج من البيوت بإغلاق أبوابها. لقد نفّذوا هذه الخطة ولم يدَعوا أطفالهم يخرجون من البيوت ليومين أو ثلاثة. فلما رأت المرأة العجوز أن الأطفال لم يعودوا يزعجونها شرعت تذهب إلى كل بيت وتقول: أين ذهب طفلُكم؟ هل لدغتْه حيةٌ أو مات بالهيضة؟ هل سقط عليه سقف البيت أم نزلت عليه الصاعقة؟ باختصار، كانت تذهب على كل باب وتذكر لهم أقوالا شتى. فلما رأى الناس أن المرأة العجوز أخذت تشتم وتدعوا عليهم أكثر من ذي قبل، قالوا لا جدوى من حبس الأولاد في البيوت، فأطلقوهم. كان حضرته يقول: هذه هي حالة النبي. عندما تكون المعارضة على أشدها فإنه يتألم في ذلك الوقت أيضا، وعندما يسكت المعارضون يتألم أيضا لأن الناس لا ينتبهون إلى الجماعة الإلهية ما لم تكن لها معارضة. لا يتلقى الناس الشتائمَ من الأنبياء، بل يتلقون الأدعية في كل الأحوال، وعند اشتداد المعارضة يدعون للمعارضين لكي تقبلَ الحقَّ الأرواحُ السعيدةُ من المعارضين.

والمعارضة ذريعة للرقي، يقول حضرته ﷺ: جاء مرةً شيخ إلى المسيح الموعود عليه السلام وبايع وكان شاعرًا وأديبًا شهيرًا، وكان نواب "رامبور" قد فوّض إليه مهمة وضع قاموس للتعابير الأردية. أخبر هذا الشيخ أنه كانت عند نواب "رامبور" مسوّدات للشاعر الشهير "مينائي" الذي كان قد بدأ بتأليف قاموس ضخم في اللغة الأردية إلا أنه قد وافته المنية دون أن يكمل هذا العمل، وأعطاني نواب "رامبور" هذه المسودات وطلب مني إكماله.

سأله المسيح الموعود عليه السلام: كيف انتبهت إلى البيعة وأنت من سكان "رامبور" التي معارضتنا شديدة فيها؟

فقال: أعطاني أحد "درّ ثمين" (*مجموعة قصائد المسيح الموعود عليه السلام باللغة الأردية- من المترجم*)، وبما أنني شاعر، فقد تأثرت جدًّا بقراءة قصائد حضرتك لأنها تفيض بمحبة الرسول ﷺ. وبعد هذا جاء إلى منطقتنا المولوي ثناء الله، وألقى خطابًا قال فيه: إن المرزا عدوّ لدود للإسلام، وإنه يهين الرسول الكريم ﷺ. فلما سمعت خطابه أيقنت أن حضرة المرزا صادقٌ وإلا لم تكن لهذا المولوي حاجة أن يلجأ إلى الكذب. لو قال أحد المشايخ عن شخص – يتحلى بحب الرسول ﷺ لدرجة يفيض به كلامه – بأنه عدو للنبي الكريم ﷺ فلا بد أن مثل هذا الشيخ كاذب، ومن يتّهمه الشيخ بأنه يرتكب إهانة الرسول ﷺ فهو صادق، وإلا فما الحاجة لهذا الخطيب إلى تقديم الأدلة الكاذبة؟ بل

كان ينبغي أن يصدق القول ويقول بأن هذا الشخص قد مدح كثيرا النبي ﷺ في "در ثمين"، وأثنى على الله تعالى ثناء عظيمًا إلا أنه مدع كاذب. لو قال الشيخ على هذا النحو لربما كان كلامه مقبولا، ولكنه ضرب بالصدق عرض الحائط وقال بأن هذا الشخص يسيء إلى الله تعالى وإلى الرسول الكريم ﷺ. فلما سمعت خطابه أيقنت فورًا بأن مرزا غلام أحمد صادق في دعواه واستعددتُ لبيعته.

فالحق أن العدو يحاول أحيانًا أن يؤلب الناس على المؤمنين إلا أن قوله يصبح مفيدا للمؤمنين بدلا من أن يؤلب الناس عليهم.

يذكر حضرته رضي الله عنه حدثًا قديمًا من أوائل عهد المسيح الموعود عليه السلام ويقول: هناك قرية تدعى "بهاؤ غسيت بور" الواقعة على مقربة من بلدة "تشك سكندر" في محافظة "غجرات"، وكان يسكن هذه القرية إخوانٌ مخلصون جدًّا على عهد المسيح الموعود عليه السلام.

يقول حضرته: كنت صغيرًا في تلك الأيام إلا أنني أتذكر جيدًّا أن هؤلاء الإخوان كانوا يجلسون في مجلس المسيح الموعود عليه السلام بكل شوق ويتمتعون بالاستماع إلى حديثه.

كان للمسيح الموعود عليه السلام صهر يدعى "علي شير" وهو أخ لزوجته الأولى. فبما أن حضرتَه بأمر من الله وبحسب مشيئته قد تزوج من حضرة أم المؤمنين لذلك أخذ أقاربُ زوجته الأولى يناصبونه العداء.

كانت الزوجة الأولى للمسيح الموعود عليه السلام امرأة صالحة جدًّا. يقول الناس عندنا أن المرأة التي تحبك أكثر من حبّ أمك لك فلا بد أنها مكّارة وخادعة، إلا أن الحقيقة أنني رأيتها تحبّنا جدًّا لدرجة كنا نحسب في الصغر أنها تحبنا أكثر من أمّنا. *(وبهذا يثبت بطلان ظنون الناس بأنه لم تكن لحضرته علاقة جيدة مع زوجته الأولى.)*

قال حضرته: فلما توفيت أختنا الكبرى كان أقارب المسيح الموعود عليه السلام قد نشروا إعلانًا معاديًا له في ذلك الوقت لنشره النبوءة عن محمدي بيغم، لهذا السبب كان المسيح الموعود عليه السلام قد سدّ الباب بين بيتنا وبين بيوتهم.

وحدثتني حضرة أم المؤمنين وقالت: لما مرضت أختي الكبرى عصمة وساءت حالتها كانت تضطرب اضطرابَ الدجاجة عند الذبح. *(أي كانت هذه البنت تضطرب وتلتاع مرة بعد أخرى)* وكانت تقول: ادعوا لي والدتي، أي والدتي الكبرى *(أي الزوجة الأولى للمسيح الموعود عليه السلام – المترجم)*. فدعاها المسيح الموعود عليه السلام، فلما جاءت ووضعت يدها في يد عصمة ارتاحت ولفظت

أنفاسها. باختصار، كانت والدتي الكبرى امرأة صالحة وكانت تحب أولاد ضرتها حبًّا كبيرا. وكانت تحب المسيح الموعود عليه السلام كثيرا وتقدّره، ولم تكن تستطيع أن تسمع من أحد كلامًا ضد المسيح الموعود عليه السلام، ولكن أخاها كان رجلا متعصبًا يضلّ الوافدين إلى قاديان ويقول لهم: إنني ابن حميه وقريبٌ له. أعرف جيدًا أنه فتح تجارة لا غير، *(أي كان يقول عن المسيح الموعود عليه السلام بأنه فتح تجارة، وهذه النبوة خدعة ينخدع بها بسطاء الناس وضعفاؤهم.)* وأحيانًا كان ضعاف الإيمان يتعثرون بقوله ظنًّا منهم أن ما يقوله صحيح لكونه ابن حمي حضرته.

في إحدى المرات جاء هؤلاء الإخوة الخمسة المذكورون من مقاطعة "خاريان" إلى قاديان، ولم تكن "بهشتي مقبرة" قد أنشئت بعد، بل حصلَ هذا الحدث قبل ذلك بزمن بعيد. وفي ذلك الوقت كان الزائرون يزورون للبركة المسجد المبارك ويجلسون في مجلس الخليفة الأول رضي الله عنه أو يزورون بستان جدّنا ظنًّا منهم أنه مبارك أيضا لكونه بستان والد المسيح الموعود عليه السلام. وكان في الطريق إلى هذا البستان يقع المكان الذي أنشئ فيه "حيّ دار الضعفاء"، وقبل إنشاء هذا الحيّ كانت هذه الأراضي ملكًا لعلي شير *(أي أخ الزوجة الأولى للمسيح الموعود عليه السلام)*، وكان يزرع فيها بستانًا بكل شوق، وكان يحمل بيده سيخًا حديديًا كبيرًا. كان قد ربى لحية طويلة إلا أنه كان عدوًّا لدودًا للجماعة، وكان يتحين الفرصة ليجد أحمديًا فيحاول إضلاله.

ففي إحدى المرات جاء هؤلاء الإخوة الخمسة إلى قاديان ومشوا لزيارة البستان. كان أحد هؤلاء الإخوة يتقدمهم مسرعًا في مشيته، فلما رآهم مرزا علي شير عرف أنهم غرباء فناداهم من بعيد: إخوتي هلمّوا إلي. فلما اقتربوا منه قال لهم: كيف جئتم هنا؟ قال: لقد سمعنا بأن حضرة المرزا ادعى أنه المسيح والمهدي، فجئنا لزيارته، ويبدو أنه صادق في دعواه. فقال مرزا علي شير: كيف وقعتم في خدعته، إنكم لا تدرون أنه قد قام بهذه الدعوى من أجل حطام الدنيا، وإنه أخي وأنا أعلم به، أما أنتم فغرباء فكيف لكم معرفة حقيقته، فلا تنخدعوا بأقواله فتكونوا من الخاسرين. فتقدم إليه ذلك الأخ الأحمدي المتقدم متظاهرا بالشوق، وقال: مُدَّ إلي يدك، وصافِحْني، فظن مرزا علي شير أن هذا قد تأثر بكلامه معجَبًا بصلاحه إذ كان من عادته أن يردد سبحان الله وأستغفر الله خلال الكلام مع الآخرين، فمدّ يده إليه بشوق ظنا منه أنه قد اقتنص اليوم صيدا جيدا. فأخذ الأحمدي يده بقوة وأخذ ينادى بأعلى صوته إخوتَه الأربعة الذين كانوا وراءه قائلا: هلمّوا إلي سراعًا فهناك أمر هام. يقول سيدنا المصلح الموعود رضي الله عنه: ففرح خالي في قلبه ظنًا منه أن حيلته قد نجحت وأن الرجل قد تأثر بكلامه وأخذ يدعو إخوانه ليقول لهم إن هذا الشخص محق فيما يقول، ولكن لما

اجتمع الإخوة الخمسة قال لهم: كنا نقرأ في القرآن والحديث أن هناك شيطانًا يغوي الناس، ولكنا لم نكن نلقاه، ومن حسن الصدف أننا قد قابلنا الشيطان الآن وجهًا لوجه. ذلك أن هذا الرجل كان يحاول إغواءهم.

ثم يقول سيدنا المصلح الموعود رضي الله عنه: لا شك أن أفضال الله مثل النهر، وهل ينقص النهرَ أخْذُ قطرة؟ الحق أن الإنسان لشقاوته يحرم نفسه من منَنَ الله تعالى معرضا عنها، فعندما يُبعث مأمور من عند الله تعالى يحتقره الناس ويكفرون به. كان أبوا حضرة بابا نانك أيضا يحتقرانه ويقولان إنه قد أفسد عليهم عملهم، وأنه ولد لا يصلح لشيء. ولكنهما لو أعيدا اليوم إلى الحياة ورجعا إلى الدنيا لأخذتهما الحيرة حين يريان كيف أن ابنهما الذي احتقراه صار محبوبا لمئات الآلاف حتى أنهم يتمنون أن يفدوه بأرواحهم، ومع أن منهم من يملكون البلايين من الأموال. الواقع أن الناس يتصرفون بغباء إذ يحتقرون المبعوث الرباني قائلين ما فائدة الإيمان به، ولكن الله إنما يبعث من لا يكون من عظماء القوم باديَ الرأي، ثم يأتي وقت حين يصبح هناك مئات الآلاف الذين يفدونه بمُهَجِهم. انظروا كيف بعث الله سيدنا المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام في قاديان ولم يكن بها قطار ولا محطة بريد ولا مدرسة للعلوم المادية ولا للدينية، ولم يكن حضرته ذا جاه مادي، والتعليم الذي تلقاه كان عاديا جدا في الظاهر، ولذلك لما ادعى بأنه المسيح والمهدي، أثار القوم ضجة بأنه شخص جاهل، فكيف يكون مهديا، كما قالوا كيف يبعث الله مأموره في هذه القرية الصغيرة، لو كان المأمور آتيا فكان لزاما أن يأتي في مدينة كبيرة مثل لاهور أو أمرتسر. باختصار بدأ الناس يعارضونه بشدة، ويمنعون كل من سمع دعواه وأراد أن يأتي إلى قاديان لزيارته عليه الصلاة والسلام، وصبّوا عليهم أنواع الأذى والمصائب، ولكن الله تعالى أوحى إليه: جاء نذير في الدنيا فأنكروه أهلها وما قبلوه ولكن الله يقبله ويُظهر صدقه بصول شديد قوي صول بعد صول. لقد تلقى حضرته عليه الصلاة والسلام هذا الوحي حين لم يؤمن به شخص واحد. ثم تلقى وحيا آخر: سوف أبلغ دعوتك إلى أقصى أطراف الأرضين. وفي تلك الأيام كانت معارضة المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام على أشدها، وكان لحضرته خادم باسم "بيرا"، وكان ساذجا للغاية حتى إنه كان يمزج الكاز في الشوربة ويشربها، وكان حضرته عليه الصلاة والسلام يبعثه إلى مدينة "بطاله" لبعض حاجاته أحيانا، وذات مرة بعثه إلى هنالك، فقابله هناك المولوي محمد حسين البطالوي الذي كان يُعَدّ من كبار المشايخ و زعيما لـ "أهل الحديث"، وكان شغله الشاغل أنه كلما وجد في "بطاله" أحدًا قادما إلى قاديان للقاء المسيح الموعود عليه السلام، منعه من ذلك قائلا: إن هذا الشخص يريد بدعواه كسب حطام الدنيا، وأنه

كذاب، فلا جدوى من الذهاب إلى قاديان، ومع ذلك كان القوم لا يمتنعون بقوله بل كانوا يفِدون إلى قاديان. وفي ذلك اليوم لم يجد المولوي البطالوي شخصًا غير السيد "بيرا"، فاقترب منه وقال: يا بيرا، عليك ألا تذهب إلى هذا الشخص، لماذا تفسد إيمانك هكذا. أما "بيرا" المسكين فما كان يقدر على فهم مثل هذه المسائل الصعبة، غير أنه فهم أنه يقول له أن لا خير في البقاء في صحبة حضرة المرزا، فلما انتهى الشيخ البطالوي من حديثه قال له "بيرا": حضرة الشيخ، أنا شخص جاهل تماما ولا أفهم هذه المسائل، إلا أني قد فهمت قولك بأن حضرة المرزا رجل سيئ، ولكن ما أراه واضحا هو أنك تتجول في "بطاله" هنا وهناك كل يوم لتقول للناس ألا يذهبوا إلى قاديان، كما تغوي سكان المناطق الأخرى وتمنعهم من الذهاب إلى هناك، ولكن ما أراه جليا هو أن الله تعالى معه وليس معك، إذ يذهب مئات الناس إلى قاديان رغم محاولاتك هذه، ولكنهم لا يأتونك أبدا.

يقول المصلح الموعود رضي الله عنه: فالحق أن عباد الله هؤلاء يتراءون صغارًا في أول أمرهم، ويحقّرهم أهل الدنيا الذين لا يرون إلا الظاهر، وهكذا احتقر الناس المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام، ولكن جماعتنا منتشرة اليوم في أرجاء العالم كله بفضل الله تعالى. (*وأنا أقول: أما اليوم فقد اتسع انتشارها أكثر بكثير بفضل الله تعالى*) ففي آخر جلسة سنوية في حياة المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام كان عدد الحضور ٧٠٠ شخص، أما خطبة الجمعة هذه التي ألقيها الآن من المسجد الأقصى فعدد الحضور فيها يتجاوز ٤٠٠٠ شخص.

(*وأنا أقول: أما الذين يستمعون لخطبتي الآن جالسين أمامي في هذا المسجد فعددهم يتراوح بين ٤٠٠٠ و ٥٠٠٠*)

ويتابع سيدنا المصلح الموعود رضي الله عنه ويقول: في زمن المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام أثارت كل الملل في الهند ضجة ضده وعارضته معارضة شديدة، ومع ذلك ازدهرت جماعتنا في الهند، كما تأسست فروعها في بلاد أخرى، فمراكز دعوتنا تعمل اليوم في جميع بلدان العالم، فقد قامت هذه المراكز في إنجلترا وأمريكا وإفريقيا، والصين واليابان وجاوا وسومطرا، وفي جميع بلاد أوروبا وتقوم بأعمال الدعوة والتبليغ، فينال الأفارقة التعليم والتربية، ويدخل أهل أميركا وأوروبا في الإسلام جماعة بعد جماعة. وهذا راجع فقط إلى أن الله تعالى قد نفخ فينا على يد مأموره إيمانا غيرُنا محرومون منه.

ثم يقول المصلح الموعود رضي الله عنه: وكان من هؤلاء القوم الذين سمعوا دعوى المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام ووصلوا قاديان أحد الشرفاء وهو حضرة الصاحبزاده عبد اللطيف الشهيد. كان حضرته قد خرج من بيته بنية الحج، ولكنه لما سمع دعوى المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام

حضر إلى قاديان وبايعه، ثم لما رجع إلى بيته، عاقبه الملك الأفغاني بالقتل رجمًا، وليس ذنبه إلا أنه بايع المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام. وبذل الناس جهدهم ليصرفوه عن الإيمان، ولكن لم يفعل إذ حصحص له الحق وتبين، وأخيرا أمر الملك بأن يحفر له في الأرض ويقتل رجما بكل وحشية، ولكنه رضي الله عنه لم يتأفف، وقدّم نفسه في سبيل الله تعالى. اقترب منه قبل الرجم بعض الوزراء وهمس في أذنه: يمكنك أن تكفر بلسانك فقط، وأنت تؤمن في قلبك بما تؤمن، فأجاب: لن أكذب أبدا، فاستُشهد. ولكن بعد استشهاده بقليل تفشّى مرض الكوليرا في أفغانستان، ففتك بالآلاف. (*وترون أن الدمار مستمر هنالك حتى اليوم*) وكذلك لما عارض الناسُ المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام أراه الله في المنام أن الطاعون سيتفشى في البلاد بشدة، وهكذا حصل، فهلك الآلاف. وفي أيام تفشي الطاعون نفسها –الذي كان قد ظهر تأييداً وتصديقا لحضرته عليه الصلاة والسلام– صار حضرته رحمةً متجسدة حيث ظل يدعو الله تعالى باكيا مبتهلا ليكشف هذا العذاب، فكان يبكي في دعواته لدرجة أن قال المولوي عبد الكريم السيالكوتي وكان مقيما في غرفة فوق المسجد المبارك: ذات يوم سمعتُ صوت بكاء، وكان مؤلما كصوت امرأة تعاني آلام المخاض، فأصغيت للصوت فإذا المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام يدعو الله تعالى باكيا ويقول: اللهم، إن يهلك عبادك كلهم فمن سيؤمن بي؟

إن هذا الأمر لَهو من أقوى البراهين على صدقه عليه الصلاة والسلام، فكان الله تعالى قد أرسل الطاعون تأييدًا له، ولكن قلبه فاض رحمةً بالقوم فبدأ يدعو الله تعالى أن يكشف عنهم العذاب. هذا هو مبلغ الرحمة التي تكون في قلوب الأنبياء.

أدعو الله تعالى أن ينعم على كل مسلم أحمدي بالغيرة الدينية، ويزيده تعلقًا بالله تعالى وصبرا وهمة، ويوفقنا جميعا للدعاء والابتهال لنجاة الإنسانية، ويعيننا على أن نجعل تواضعنا يتغلب على أنانيتنا، ويسيّرنا في سبل رضاه الكامل، وأن نكون من الذين يلعبون دورهم في إنجاز مهمة المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام، وألا نفعل إلا ما تمناه وتوقّعه من جماعة المؤمنين به. آمين

❁❁❁❁❁